المرأة في دراما الفضائيات المتعولمة

(دراسة في الأعمال الدرامية)

(مسلسل العطار والسبع بنات أنموذجا)

الدكتور

عبد الباسط سلمان

المقدمة

منذ ان دخل الافتراض في وسائط الإعلام عبر تقنياته اللامحدودة بدأت تتبلور قضية جديدة تستعمر العالم الذي تنتشر فيه تلك الوسائط ، حيث برزت مع دخول تلك الوسائط افتراضات عبر آليات الإعلام غيرت مجرى العادات والتقاليد المعهودة للشعوب ، وترعرعت حالة من التنميط الجديد اقتحمت المجتمعات او الشعوب وبصور متعددة ، وما ان حلت القوى المتعاقبة في فرض هيمنتها على تلك الوسائط الإعلامية حتى وروجت معالم الافتراض الجديد الذي تنويه ، ومع مرور الزمن تبلور هذا الافتراض وبشكل معلن ولكن من دون أي مناهضة له على أساس انه اختياري وليس إجباري ، حتى اصبح فيما بعد مفروض على اغلب الشعوب ولكن بصورة مختلفة ، حيث اندرج في الأحشاء بتمويه عالي المستوى ودون شعور من اغلب تلك المجتمعات التي شعرت في نهاية المطاف انها مهددة بواقع جديد وليس افتراض .

ان هذا الافتراض بات مفروضا بحكم ادعاءاته التي تلوح بالحرية والليبرالية الجديدة وبنهج مراوغ وخداع للغاية . وهو الأمر الذي جرف المزيد من النساء والرجال وبكافة الفئات نحو العالم الجديد لينسوا العالم الأصيل ، لقد برز تيار عملاق لا يمكن مواجهته او الوقوف أمامه ، فبالوقت الذي تسعى فيه الشعوب المتواضعة الامكانيات في تامين فرص العيش او الحياة بدأت تتفاقم مزيد من الحاجات الغير أساسية والمسؤوليات على نفس تلك الشعوب جراء الافتراض الجديد ، وبالوقت الذي تعاني فيه تلك الشعوب من الأزمات الاقتصادية والاجتماعية تظهر مزيد من الآليات والتقنيات الجديدة تتعشق في حياة المجتمعات وتزاحم كل القضايا والأولويات بحكم اللذة والتخدير الذي يبعثه الافتراض.

ان من بين أهم الوسائط الإعلامية التي تؤثر وبشكل واسع وفعال في المجتمعات او الشعوب ، السينما ومن ثم التلفزيون حيث ان للسينما علاقة وثيقة بالتلفزيون من خلال الترويج والانتشار الذي يحققه التلفزيون للسينما. والسينما عبر إمكانياتها العملاقة استطاعت ومنذ ان دخلت العالم في بداية القرن الفائت استطاعت ان تنوه عن تنميط للمجتمعات وبشكل متسلسل ومتدرج معقول دون ان يثير أو يلفت للانتباه (dissolution) وهو ما أكدته بعض الدراسات (من خلال الإعلام وما يحمله من أهمية بالغة في التأثير انتشرت وتفاقمت ظاهرة العولمة في المجتمع العربي ، ومرت مفاهيم العولمة وانغرست ، وكان مرور تلك المفاهيم في غاية السلاسة والانسيابية الأمر الذي خلق سلوكيات وطبائع جديدة في المجتمع من دون أي مواجهة أو صعوبة في انبلاج ذلك السلوك أو التقاليد (3ص7).

ابتكرت السينما افتراض يقول ويفعل ما يشاء في كل الأوقات وفي كل الأماكن ودون قيد أو شرط ، وقد استغل هذا الافتراض من قبل المسؤولين عليه وبشكل منطقي للغاية تحت آثار الرأسمالية ، وهو الأمر الذي جعل من هذا الافتراض يسيطر ويهيمن على الأفكار وبصورة لا تقبل الشك .

استطاعت السينما ان تخطو خطوات واسعة نحو الهيمنة الفكرية للمتلقين او للمتابعين لذلك الافتراض ، ولعل التلفزيون وما يحمل من محاكاة للسينما ساهم بشكل فعال للغاية في ان يطرح المطروحات التي تبتغيها السينما ، فالتلفزيون وعلى ما يبدو ذيل للسينما كونه لم يترك شيء في السينما الا وجاء بمثله ، فكل الأعمال التلفزيونية تقلد الأعمال السينمائية بشكل او بآخر من حيث الشكل والمضمون ، حيث ان السينما بحكم ما تحمله من أسبقية وانتشار حققت المزيد من النجاحات والتأثير في المتلقين لها وهذا النجاح قاد التلفزيون في ان ينتهج النهج الذي سارت فيه السينما ، حيث اهتم التلفزيون بكل ما تقدمه من موضوعات حتى بدا يتناول الدراما بشكل مفرط

ولحدود بالغة لدرجة انه بات يؤدرم كل ما يظهر على الشاشة بما في ذلك الأخبار وهو ما أكده أستاذ الإعلام والإذاعة البريطاني (مارتن ايلسن) عندما قال (ان التلفزيون في جوهره وسيلة درامية . فعلاوة على البرامج الدرامية التقليدية التي يبثها فانه يقدم برامجه داخل إطار شاشة التلفزيون وهي تشبه تماما خشبة المسرح كما تعتمد هذه البرامج قدراً من التمثيل وتستعين بالإضاءة والديكور والحركة المحسوبة والملابس المختارة والتدريبات كما هو الحال في الدراما وهو ما ينطبق على نشرة الأخبار والندوات والأحاديث وغيرها) (١٤ص١٣١) ، ومع تلك المحاكاة للسينما من قبل التلفزيون يعرض التلفزيون وبشكل مباشر اغلب الأفلام السينمائية يوميا ليسعف نفسه من المواد أو البرامج التي يحتاجها في البث اليومي .

هناك تقليد واضح وصريح للسينما من قبل التلفزيون ولحدود بالغة لدرجة المنافسة ، فالأعمال التلفزيونية رغم انها تحمل من الخصوصيات لا تزال وبصورة متزايدة يوم بعد يوم تقلد الأعمال السينمائية وبكل أنواعها ، فهناك الكثير من الأشكال السينمائية تظهر في الأعمال التلفزيونية ، وهناك المزيد من المضامين التي تعرض في التلفزيون انما هي مسروقة من السينما ، والواقع ان هذه السرقة انعكست على المتلقي الذي يتلقى التلفزيون وبشكل يومي ، وهذا الانعكاس الناجم من السينما اقتحم المنازل والأكواخ والمدارس والجامعات وكل مكان ودون شعور او إحساس بهذا الاقتحام من قبل اغلب المتلقين ، وبشعور صريح ممن هم مسؤولين عن البث التلفزيوني او من هم مسؤولين عن الوحدات البرامجية التلفزيونية ودون اعتراض او مواجهة ولاسباب مادية .

الواقع ان ذلك الاقتحام في الافتراض الجديد صادر الكثير من القضايا التراثية للشعوب التي تحمل العديد من العادات والتقاليد والخصوصيات وهو ما أكدته الكثير من المصادر ، ولعل ما اشاره وزير التعليم المصري الدكتور حسين كامل بهاء الدين في كتابه الوطنية في عالم بلا هوية تأكيد لذلك

حسين كامل بهاء الدين في كتابه الوطنية في عالم بلا هوية تأكيد لذلك (ثقافة العولمة تستهين بكثير من القيم المجتمعية .. انها لا تقيم وزنا لهوية او انتماء ، ولا تهتم بحقوق المواطنة ، ولا بفرص العمل ولا باعتبارات البيئة ، واحيانا تعتبر هذه المفاهيم عقبات يجب إزاحتها) (15ص150) ، ان هذا الافتراض مسخ القضايا التراثية او التقاليد او القيم المجتمعية وتجاوزها حتى جعلها في عداد التخلف ، فهناك جملة من الشعوب التي تحمل الكثير من العادات والتقاليد الأصيلة اصبح الحديث عن تقاليدها وعاداتها في عداد السخرية او في عداد المسبة والشتائم . بالوقت الذي يفترض فيه ان تكون تلك التقاليد محط تفاخر واهتمام ودعم .

الافتراض الجديد نسف الماضي وبدا بحاضر يختلف عما هو متوقع في القرون الماضية ، ونمط الجيل الحالي إلى حدود بالغة ، وهو يسعى عبر زحفه الذي لا يتوقف الى هيمنة في ذات الفرد المتلقي ليكون أسير بالاستناد الى الآليات او الوسائط التي يتسم بها الافتراض وبالاستناد الى مراكز التعليم التي تواكب كل التقنيات والتطورات التي يروج لها هذا الافتراض ، ولعل الجامعات البؤرة الخصبة في تلقي ذلك الافتراض كون ان الجامعة مركز أساس في مواكبة التكنولوجيا والتقنية الحديثة التي تفترضا الوسائط الإعلامية وتلوث بها الأفكار عبر اندماجات عديدة للذي ترتئيه . حيث ان التقنيات والتكنولوجيا الجديدة أصبحت في رهان أصحاب الافتراض الجديد كون ان الافتراض انما هو مؤسسة بسيطة من المؤسسات التي تسيطر عليها المتعدية الجنسيات وبالتالي اصبح كل شي مرتبط بالرأس الذي يسيطر على الوسائط وعلى التقنية علما ان الوسائط انما هي التقنية ذاتها .

لقد تمكنت العولمة من التوغل في جوانب متعددة الأوجه رغم سعيها إلى ثقافة محددة في نشر أهدافها ، حيث انها توغلت في المجال الاقتصادي والمجال السياسي والمجال الاجتماعي والرياضي والفني والثقافي و مجالات

وهنا في موضوع هذا البحث سنتوغل في الكيفية التي تسعى لها العولمة في نشر المضامين المؤثرة في فكر المرأة والتي تنعكس في جملة من المظاهر الخاصة بالعولمة ، حيث ستتبنى هذه الدراسة تلك المظاهر بغية إيجاد علاقة صريحة والعمل الدرامي الذي يظهر على شاشات القنوات المحلية والفضائية العربية ، فهناك ارتباط قد يكون خفيا لغير المختصين بين المضمون الخاص بالأعمال الدرامية ومظاهر العولمة ومن ثم هناك علاقة بين مضامين العولمة ومضامين البث التلفزيوني الفضائي ، أوجد هذه العلاقة أو الارتباط المستفيد من العولمة ، وفي نفس الوقت هناك من يسعى إلى إلغاء هذا الارتباط لتحصين متلقيه من إفرازات العولمة بغية الحفاظ على سلامة ما هو موروث من ثقافة وتقاليد وقيم واخلاق .

لعل السبل التي تهدف إلى غرس المضامين الجديدة اتخذت من المراوغة نهجا في بث المضمون الفكري للثقافة الجديدة وهذه السبل قد لا تكون مكشوفة لكل المتلقين على الرغم من أنها واضحة بعض الشيء لبعض ممن يمتلكون ثقافة مناهضة لتيار العولمة (ان صياغة تعريف دقيق للعولمة تبدو مسألة شاقة، نظراً لتعدد تعريفاتها والتي تتأثر اساساً بانحيازات الباحثين الأيديولوجية واتجاهاتهم إزاء العولمة رفضاً وقبولاً) (٢٢ص١٥)، لذا فان كثير من المتلقين لا يدركون إلى يومنا هذا المخاطر التي تنبعث وستنبعث من جراء العولمة ، وهناك أيضا كثير من المتلقين لا يعرفون السياق الذي ينتهج أو الموقف الحقيقي لهم إزاء العولمة ، ولهذا سنكشف واقع العولمة ونكشف العديد من العلاقات بين الأعمال الدرامية والعولمة ، وسنكشف أيضا الدور الذي لعبته الدراما السينمائية والتلفزيونية في التمهيد لأفكار العولمة وكل ذلك سيكون لبيان المخاطر التي تهدد بانهيار خصوصيا المرأة العربية الأصيلة.

الفصل الأول

مشكلة البحث

مع تعدد القنوات المحلية والقنوات الفضائية العربية اعتمدت العديد من القنوت التلفزيونية الأعمال الدرامية الأجنبية الموجهة للمرأة [1] وخصوصا الأمريكية منها مواد رئيسية في مناهج البث التلفزيوني فلوحظ ان اكثر البرامج الموجهة للمرأة هي من صلب الإنتاج الأمريكي ولوحظ أيضا ان البرامج العربية الدرامية كثيرا ما تعتمد الشكل والمضمون الأمريكي في برامجها وهو الأمر الذي جعل البرامج الموجهة للمرأة تحمل أفكار ومضامين انعكست على المرأة العربية بصورة واضحة ، فهناك جملة من البرامج التي تستعرض المواد التجميلية والترفيهية للمرأة وهناك من البرامج ما تحفز المرأة على الانتقال إلى العالم المتحرر والى العالم الديمقراطي الذي يساوي حقوق المرأة بحقوق الرجل دون أي فروقات . بل ان من البرامج ما تحرض المرأة على التمرد والعصيان ، ومن ثم قيادة الرجل إلى ما ترتئيه وتحت ضغوط الإثارة الجنسية وبصورة غير مباشرة .

لذا فأن موضوع البحث سيعتمد التساؤل التالي كمشكلة البحث وهو(هل ان الأعمال التي تشاهدها المرأة العربية تعكس ما ينادية الافتراض الجديد)؟.

---

1 ليس بالضرورة أن تكون البرامج الموجهة للمرأة معنونة بعنوان برامج المرأة أو برامج خاصة بالمرأة بل هناك من البرامج ما تأتي بمسميات اعتيادية إلا إنها صريحة في توجهها ونوعها كالأغاني أو الأفلام أو التمثيليات التي تلعب فيها المرأة دور أساس

أهمية البحث والحاجة إليه :

نشأة المرأة على أساس القيم والتقاليد العربية الأصيلة من حشمة وسلوك مهذب ومعتدل دون التوجه إلى الإغراء والإثارة المتعمدة ، تكون هذه النشأة مبعث للتفاهم والرضا التي تبعد المجتمع من المشاكل الاجتماعية، وتكون هذه النشأة سبب حقيقي لسرور وسعادة المجتمع العربي. أما إذا شجعت المرأة على التصرف والسلوك الذي يهدف إلى الانحلال والتحرر المطلق الذي يؤكد على إهمال القيم السماوية و يؤكد على تجاهل وعدم احترام القيم المبنية

على أساس القيم العربية الأصيلة المتمثلة بمبادئ التهذيب الصحيح والعفة والقناعة . فان ذلك سيقود إلى قسوة كبيرة في التعامل الانساني والاجتماعي والى صعوبات في التفاهم الحياتي كون ان التقاليد الجديدة التي تناشد لتحرر والديمقراطية المفرطة للمرأة العربية لا تتماشى والأعراف السائدة في المجتمعات العربية . ولعل الحالات المتكررة في القتل بسبب الثار أو العار من الحالات التي تؤكد ما ذكرناه ، لذلك اعددنا هذا البحث مستهدفين معاونة من هم مسؤولين في سلوكيات أو تربية الفتيات والمرأة في تحصين المرأة من مخاطر انعكاسات التقاليد والأهداف التي تناشدها العولمة.

أهداف البحث :

يهدف البحث إلى ما يأتي:

١. كشف دور الأعمال التلفزيونية في تحقيق الافتراض الجديد المنبثق من العولمة على المرأة .

٢. الكشف عن الأفكار والمضامين التي تناشد بها الأعمال التلفزيونية التي تتعرض لها المرأة .

تعريف المصطلحات :

العولمة: مفردة لم ترد في القواميس العربية كونها جديدة وهي تشير حسب تعريف أستاذ العلوم السياسية الدكتور رياض عزيز هادي الى انها (حركة مضادة ارتجاعية تهدف الى إعادة إنتاج نظام الهيمنة الغربية القديم بأسلوب جديد من خلال المنظمات الدولية الكبرى كالأمم المتحدة والمؤسسات المالية والدولية الكبرى)(١ص٧).بينما يرى البعض ان العولمة انما هي الرأسمالية حيث أشارا هانس بيتر مارتين وهارلد شومان إلى ذلك في كتابهما (فخ العولمة) حين كتبا ((ان العولمة من خلال السياسات الليبرالية الحديثة التي تعتمدها انما ترسم لنا صورة المستقبل بالعودة للماضي السحيق للرأسمالية ، فبعد قرن طغت فيه الأفكار الاشتراكية والديمقراطية ومبادئ العدالة الاجتماعية تلوح الان في الأفق حركة مضادة تقتلع كل ما حققته الطبقة العاملة والطبقة الوسطى من مكتسبات))(٢ص٧) . وفي دراسة سابقة للعولمة عرفت على انها(ظاهرة برزت في التسعينات من القرن الماضي إلا إنها تحمل جذور قديمة حيث اختلطت واشتبكت المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والإعلامية وكما حددها مؤتمر استوكهولم عام ١٩٩٨ إلى ان أدت الى حالة من التنميط (Uniformalisation) أو التوحيد (Unification)

الثقافي في العالم كله ، وقد اتخذت هذه الظاهرة فضلا عن (العولمة) تسميات أخرى منها (الكوكبة و الكونية و الامركة و الانسنة " Humanism ") (٣ص٢٦) وهي تهدف إلى السيادة المطلقة ليس لنموذج اقتصادي فحسب وانما سيادة النظام الكوني الأمريكي الموحد عبر آلياته وأهدافه. حيث اتخذت التكنولوجيا الحديثة والتقنيات الرقمية الفائقة والتوسع المعرفي غطاء لغرض نشر أيديولوجيتها حتى ظن البعض انها تعني التقدم والديمقراطية الحديثة والحضارة الحديثة لاعتقادهم انها ستدر عليهم بخير كثير من خلال تلك الآليات ، وقد وصفت تلك الدراسة العولمة على (انها تبدو بمثابة الجسور التي يبنيها الاستعمار في الدول التي يغزوها فيزعم أنها تقدم الخدمات للشعب الذي خضع للاستعمار ، الا ان الهدف الأساس من بناء تلك الجسور هو خدمة الاستعمار في ان تكون طريقا سهلا ومباشرا تسير عليه الدبابات والقطعات العسكرية لتهيمن وتسيطر بالشكل الذي ترتئيه) (٣ص٢٦)، فالعولمة هي سلوك وثقافة جديدة فرضتها الدولة الاكثر سيطرة على الموارد والإعلام لتكوّن لغة ممتعة تستخدمها كل الشعوب بافتراضها انموذجاً لكل اللغات . وبذلك يكون هذا النموذج انعكاساً لإمبريالية جديدة تهدف إليها الدولة المسيطرة على الموارد والإعلام لكسب اكبر قدر ممكن من الأموال بغية الاستمرار في الهيمنة على العالم .

الفصل الثاني

العولمة بين التلفزيون والمرأة :

هناك علاقة نشبت بين المرأة والعولمة إزاء ما ظهر في العديد من على شاشات التلفزيون فالكثير من المثقفين والمهتمين بالتلفزيون يصرحون بين الحين والحين بالصحف والإعلام على ما يظهر بالتلفزيون حول المرأة وما يحدث لها بل هناك من الدراسات المتخصصة في المعهد العالي للسينما في مصر حول صورة المرأة العربية من على الشاشة وذلك ضمن الأهمية البالغة التي تشكلها المرأة في مجتمعنا العربي ، فعلى ما يبدو ان هناك توجهات عالمية مهمة حول المرأة ، ولعل التصريحات السياسية الأخيرة للحكومة الفرنسية في منع الحجاب في الدراسة او اعتباراها ضمن اللوائح والفئات الخاصة دليل على ذلك .

تشكل العولمة محك بالغ القلق على التقاليد والموروثات وفي ذات الوقت تشكل العولمة خطورة بالغة على المرأة العربية لما تدعي الى سلوكيا واتجاهات جديدة في الحياة اليومية فهي تناشد الشعوب العالمية جميعا الى الاندراج ضمن الثقافة الغربية الجديدة التي تبعث مزيد من الانفلات ومزيد من التحرر المطلق الغير مبرر عقلانيا ، بحيث انها تصر على المضي في أدق الجزئيات في الحياة اليومية لتحقيق التغير في السلوك والنهج اليومي والذي كثيرا ما يزاحم أمور أساسية في الحياة كتربية الأطفال او الاهتمام في المنزل أو الاهتمام بالزوج أو أمور أخرى غاية في الأهمية.

لعل البرامج التي تبث ألان عبر القنوات الفضائية تؤكد الأمور الجمالية للمرأة بشكل صريح فهناك على سبيل المثال قنوات تستعرض وبشكل يومي الأزياء النسوية بكافة تفاصيلها حتى ان من بينها ما تستعرض الملابس الداخلية وكافة الإكسسوارات والعطور والماكياج وهناك من القنوات ما تبث التقنيات الحديثة في الطبخ وتسريح الشعر والمساج أو التدليك ، وكان

النساء ليس لديهن سوى الراحة والاستجمام والتجميل والطبخ ، ولعل من الامور الغريبة التي كثيرا ما تثير الدهشة تلك البرامج التي تروج عن التسويف في الطفل العربي كالبرامج التي تستعرض الأطفال وخصوصا البنات بشكل غير ملائم ، حيث هناك من البرامج ما تعرض المزيد من البنات الصغيرات بملبس خليع كان يكون (شورت) او (مايو) او بلوزة قصيرة جدا لدرجة ان منطقة البطن تظهر بالكامل او فستان قصير للغاية أو ملابس غير ملائمة للبنات الأطفال . فعلى سبيل المثال نلاحظ في برنامج عالم دريد الذي ظهر على بعض القنوات الفضائية والمحلية نلاحظ انه استعرض بنات صغيرات بملبس خليع بل ان البنات ظهرن بمكياج وبتسريحات شعر ، وهنا يكمن تساؤل عن الأطفال بهذا العمر فإذا كانت البنت وهي في الثامنة من عمرها ترتدي ملبس قصير وتضع مكياج وتقص شعرها على الموضات ما هو حالها عندما تكبر وما هي الآثار التي ستخلفها بل ماذا سيكون الملبس بعد عشر سنوات ، يعتقد الباحث ان هناك ممن يضنون ان مثل هكذا شيء هو تطور او تقدم وان انتقاد هذا الشيء يعد لهم بمثابة تخلف ، والباحث يؤكد هنا ان الانتقاد لتلك المسائل بحكم الاعلام والاتصال اصبح عند بعض المتحررين والمنفلتين تخلف الا انه في الواقع قمة التطور والتحضر ذلك لان الحفاظ على التراث والموروثات هو التقدم .

الواقع ان كل ما يبث من برامج من هذا النوع إنما هو ترغيب نحو التسوق أو التبضع فهذه البرامج لو تابعنا مصدرها لوجدناها ترجع الى شركات عملاقة متعدية الجنسية ، وهذه الشركات ووفق استراتيجياتها تهدف الى جعل المرأة نموذج مناسب للاستهلاك السريع ، وذلك لتحقيق الربح ، فهناك كم هائل من القنوات تبث المزيد من الأفلام السينمائية والتلفزيونية الدرامية التي تؤكد الاستهلاك ضمنا في الدراما التي تتناولها سعيا الى بلورة حالة من التغيير الذي يرافقه في الغالب استهلاك كمي ، ومن هنا يتضح الأساس الذي تستند إليه الشركات العملاقة جراء البث التلفزيوني الذي يدعم

توجهاتها في الاستهلاك لتتحقق العولمة ، فالعولمة وكما يسميها اليابانيون هي (الاستهلاك. شيندوجو) (Chindogu)(٢٢ص ١٥٠).

ولما للعولمة من سلبيات كثيرة على المجتمع العربي التي تنعكس سلبا على المرأة العربية التي تتسم بخصوصيات كثيرة لا تتماشى وطبيعة الثقافة الجديدة التي ترومها العولمة . فسنتناول في هذا البحث موضوع البث التلفزيوني والقنوات الفضائية العربية ودورها في تسويق كثير من القيم للمرأة العربية أو نشر كثير من المبادئ والتقاليد التي لا تتواءم وواقع المرأة العربية ، حيث أن هناك أهمية بالغة للبث التلفزيوني وللقنوات الفضائية في بلورة الثقافة الجديدة وإقحامها في الحياة اليومية للمرأة من خلال دور الدراما السينمائية والتلفزيونية التي تشكل وسيلة أساسية في خلق التأثير الحياتي للمجتمع . كذلك هناك تناول صريح في كل البنى الأساسية للدراما السينمائية والتلفزيونية من خلال تناول عناصر الشكل والمضمون للدراما السينمائية والتلفزيونية ، والبحث سيتناول كل عنصر من تلك العناصر في بيان أهميته من خلال صياغة دور فعال في عكس المضامين للأفكار والأهداف الخاصة في مفهوم ظاهرة العولمة . لذا فان علاقة الدراما بالعولمة ستكون المحور الأساس في بلورة انعكاسات المضامين الفكرية للنساء ، حيث ستعتمد الدراما كوسيلة أساسية في توصيل الأفكار لخلق التأثير في المرأة العربية ، فهناك قدرات تحملها الدراما في خلق الأجواء المناسبة لتعزيز المفاهيم لمظاهر العولمة ، حيث ان قدرة العمل الدرامي التلفزيوني تعمل على استقطاب المتلقي للتأثير فيه من خلال المحتوى المرسل له ولعل ما ذكرته الدكتورة نسمة البطريق في كتاب (التلفزيون والمجتمع) تأكيد لذلك فهي تقول (تتصدر الدراما الأجنبية ومنها العربية كمضمون ترفيهي وثقافي مكانة مرموقة بين البرامج التلفزيونية

الأخرى ، وقد يمارس هذا المضمون آثارا جانبية وضارة على ثقافة الفرد والمجتمع) (٢١ص٦٧) .

يتضح من خلال ما تعرضه نشرات الأخبار من مظاهرات مناهضة للعولمة ان الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية عموماً كانت افضل مما هي عليه الآن في أبرز مراكز العولمة وهو أمريكا . فقد تظاهرت العديد من النقابات والمنظمات في سياتل (قلب أمريكا وقلب العولمة) على هذه الظاهرة واحتجت وشجبت ما تؤل لها العولمة ، ذلك للخطورة التي بدأت تتفاقم يوم بعد يوم وتتبلور بالشكل الذي يعطي التصور الواضح إزاءها وإزاء الخطورة المباغتة والمراوغة التي تهدد بها .

من خلال زيارة الباحث الى مصر في عام ٢٠٠٤ اتضحت حقيقة لا يمكن الشك بها وهيى ان العولمة تمهد للطبقية والجور الذي كثيرا ما بدء يتبلور في مصر مع غلاء المعيشة في المجتمع ، فالباحث كان قد زار مصر قبل اربع سنوات من هذه الزيارة وشعر بالفرق المعاشي بالنسبة للمواطن المصري ، ومن خلال الاستفسار الذي وجهه الباحث الى العديد من المختصين والمهتمين والمعنيين بهذا الحال تبين ان هناك الكثير من المؤسسات والكثير من الشركات المتعدية الجنسية قد دخلت مصر للاستثمارات العالمية ، والواقع ان تلك الاستثمارات مهما يكون نوعها ومهما يكون شكلها انما هي عبئ على القطاع الحكومي والذي يمثل الطبقة الساحقة في المجتمع فهذه الاستثمارات نافست القطاع الحكومي وجمدته لحدود بليغة الأمر الذي جعل التفاوت واضح وصريح . ان هذه الاستثمارات كثيرا ما ناشدت بها العولمة والتي قادت في النتيجة الى غلاء في المعيشة للمواطن المصري ، وخلقت ايضا تفاوت طبقي كبير بالمجتمع فهناك طبقات غنية جدا في مصر (طبقة المستثمرين) وهي القليلة جدا وهناك طبقة فقيرة للغاية (طبقة الموظفين في الحكومة) وهي الأغلبية الكبيرة ، لقد أكدت العديد من الدراسات والندوات الفكرية وأهمها ندوة (العرب والعولمة) التي

نضمها مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت ومؤتمر(العولمة والهوية) الذي أقيم في جامعة فيلادلفيا في الأردن ودراسة الدكتوراه الموسومة بـ (مظاهر العولمة في الشكل والمحتوى في البث الفضائي العربي)، إلى إن العولمة مراوغة في واقعها فهي تنتهج العديد من الوسائل والأساليب المناشدة للغريزة البشرية لتحقيق مآربها من خلال الادعاءات الكاذبة بتوسيع المعرفة التكنولوجية أو تحرير التجارة الخارجية أو تعاظم الحريات أو ما إلى ذلك من الادعاءات التي بانت فيما بعد إنها تنقل المجتمعات وخصوصا النامية من وضع سيئ إلى أسوء ، ولعل ما ذكره المفكر السوري نايف بلوز إشارة حقيقية عن ذلك فهو يقول(العولمة حركة كونية عالمية ، لكنها تصدر واقعياً وبالدرجة الأولى عن الولايات المتحدة الأمريكية، وهناك يكمن مقرها ومركز نشاطها واعدادها الأيديولوجي، تغدو حركة أمريكية تسعى الى تحقيق الأغراض الرأسمالية الأمريكية، وقد تغدو كونيتها – الكوكبية – فتح طريق بالخصائص المحلية من هوية قومية او ما يشبه ذلك، وتحاول العولمة ان تظهر بمظهر الوريث للتقاليد الديمقراطية) (٢٥ص٣٢)، ان هذا الأمر قاد الكثير من المختصين وغير المختصين الى ان يعرفون ويفهمون العولمة على إنها التقدم والتكنولوجيا والقفزات العلمية في الحاسبات والاتصالات الرقمية ، متوقعين ومتصورين إنها الخير القادم لهم ، بينما يتضح الواقع الحقيقي للعولمة على عكس ذلك أبان مرور الوقت الذي مضى من ظهور التسمية التي استقرت عليها هذه الظاهرة (انظر٣ص١٧).

فالعولمة وكما جاءت في العديد من الدراسات تعني الامركة أو الرأسمالية الجديدة وهناك الكثير من التسميات على هذه الظاهرة انشقت من مفاهيم النظام الرأسمالي ومن بين تلك التسميات (المكدنة "مكدونالد" أو الكنتكة "كنتاكي" أو الكوكبة أو الانسنة... الخ) (٢٦ص٦)، والواقع إن كل هذه التسميات هي تقود في النتيجة إلى هدف واحد وهو السيطرة المطلقة

لراس المال بمعنى آخر سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية كونها اداة الرأسمالية في العالم ، فهناك مصادر عديدة تؤكد ان العولمة تهدف الى سيطرة المركز ((الولايات المتحدة الأمريكية)) على الأطراف وتكشف عنها (انظر٢) ، بحكم تهميش الثقافات الأخرى غير ثقافة المركز في العالم لتوصيل ثقافة المركز إلى الأطراف وتعميقها فيها بعد غسل الأطراف من ثقافاتها ، فالعولمة ترمي الى تحقيق طريق واحد في التعامل الإنساني ولعل هذا الطريق سلوك جديد ينتشر في كل أرجاء العالم ولا بد ان تفهمه كل الجنسيات في العالم ويفهمه الكبير والصغير لا ان يفهم وينشر فقط بل يستخدم ليحقق الأهداف المخطط لها، ولتحقيق ذلك استخدمت ((الدولة المركز)) الاغراءات الكثيرة لجعل الإنسان في العالم ينساق لاستخدام هذا السلوك ومن بين أهم تلك الاغراءات الترفيه والمتعة والسهولة في الاستخدام من حيث الإشارات والرموز الواضحة والجذابة وغير المعقدة في الوقت نفسه ، التي لا تحتاج إلى تفكير بقدر ما تحتاج الى غرائز في الانسان ، إلى ان اقدم الإنسان عليها ليكون في ما بعد مكبل بقيود تجبره الانسياق نحو ذلك التوجه ، والمرأة كجزء من المجتمع انساقت وراء ذلك التوجه لتكون مكبلة في العديد من التوجهات او السلوكيات الجديدة وذلك بحكم ما ذكرناه من غرائز استقطابية الأمر الذي قاد أن تتجه المرأة نحو الغرائز وتبتعد عن المنطق أو التفكير (انظر٣).

السلوك والثقافة الجديدة التي تناشد به العولمة يتحققان في الأعمال الدرامية التلفزيونية عبر البث التلفزيوني المحلي والفضائي ويتحققان أيضا في استخدام الحاسبات الإلكترونية ضمن الألعاب الإلكترونية(Playstation) (Games of PC) & والتي تؤكد الاستهلاك وتؤكد أمور مهمة في العولمة مثل إبراز الحياة المعيشية الأوربية أو تمجيد الولايات المتحدة الأمريكية وكذلك يتحقق السلوك والثقافة الجديدة من خلال الحاسبات الالكترونية التي

غزت الأسواق ومن شبكة المعلومات العالمية (الانترنيت) ، الا ان الأهم من بين الوسائل التي تحقق انعكاسات لهذه الظاهرة هي الدراما التي تنتقل عبر البث المحلي والفضائي ، فمن خلال شكل ومضمون تلك الأعمال الدرامية استطاعت العولمة ان تدخل المجتمعات بصورة غير ملحوظة ذلك لان الدراما السينمائية والتلفزيونية دخلت قبل دخول الكومبيوتر وترعرعت بانسيابية بالغة في التخطيط والتنظيم وهي ما جعلها تمهد وبيسر لإقحام كل الأفكار التي ترتئيها وتهدف لها العولمة.

الكومبيوتر الذي بدأ يدخل الكثير من المنازل هو وشبكة المعلومات العالمية (الانترنيت) فضح وبشكل طبيعي السلوك الذي تهدف له القطبية الأمريكية وفضح عن الكثير من التوجهات الجديدة في المجتمع عبر الاتصال السريع الغير مكشوف وهو الأخطر من نوعه في تحقيق الانفلات الأخلاقي كون ان اكثر الفتيات في الوقت الحاضر باتا في جملة من العلاقات الغير بريئة عبر ما يسمى بـ (الدردشة في الانترنيت) أو عبر البرامج الأخرى مثل (chat). وقبل أن يدخل هذا السلوك أو اللغة الجديدة كانت هناك جملة من التحضيرات والدراسات العميقة لتحقيق ما وصل إليه الوضع الحالي من خلال ترويج نمط وطريقة العيش الغربية ونشر وترويج طرق الاستهلاك وإدماجها بالثقافة والترويج للعنف والجريمة وما إلى ذلك من مظاهر خاصة بالعولمة.

دراما المرأة ودورها العولمي :

لقد تبين ان الافتراض الجديد او السلوك المستخدم في تحقيق مفهوم العولمة اتخذ من التلفزيون وسيلة مهمة للانتشار ، فالتلفزيون بحكم سرعة انتشاره وسهولة استخدامه والمتعة التي يحملها والمصداقية المتصورة فيه، اصبح هو الأهم من بين تلك الوسائل ، ان هذا الأمر قاد المنتفعين من العولمة إلى التفنن في طرح أفكار العولمة في التلفزيون بشكل دقيق وغير مباشر وبأسلوب ممتع وشفاف لزرع الأمان والثقة في المتلقي العربي او غير العربي وذلك لجرفه نحو الضفة الجديدة او الافتراض الجديد الذي تهدف له الجهات المنتفعة من العولمة.

لقد بدأ المجتمع العربي يخطو نحو الانجراف للعولمة دون وعي أو إدراك مسبق حيث بدأ تلك الخطوات نحو الانجراف مع انتشار دراما التلفزيون ، وقد استطاع البث الفضائي ان يوسع ذلك الانتشار لأنه أسرع وأوضح واسهل وايسر فهماً ، وفي الوقت نفسه هو خالٍ من مراحل الترشيح ((الفلترة)) أي ان البث الفضائي قد يُستَقبَل بشكل مباشر دون حذف أو إضافة فهو خالٍ من المونتاج ، ورقابة غير المراسل مقارنتاً بالقنوات المحلية التي تخضع إلى رقابة شديدة في بعض الأحيان حتى أصبحت المرأة تشاهد في الستلايت كل ما تشاء من برامج وأفلام ومسلسلات إباحية وغير إباحية.

ان البث الفضائي يقدم العديد من البرامج والأعمال الدرامية ، والأعمال الدرامية هي الأكثر تأثيراً في المتلقي لواقعيتها أو لاقترابها بحكم إنها أعمال ترى نفسها واقعية وجذابة وقريبة من الموضوعية ، الأمر الذي جعل الدراما اكثر اهميتاً في نظر الجمهور مما دعا المنتجين إلى دعمها مالياً لأنها ستعود عليهم بمردود مالي كبير جدا ، فهناك الكثير من المراجع أكدت بان الدراما والسينما تحقق أرباحا خيالية (لقد حقق توزيع الفيلم الأمريكي في

السوق العالمي للتصدير أرباحا طائلة ووصل الى المراتب الأولى في أسواق العالم الثالث هذا بالإضافة إلى أفلام الفيديو والمسلسلات التلفزيونية)(٢١ص٥١).

الدراما تحتاج إلى أموال هائلة كي تكون مؤثرة ومنتشرة بشكل كبير مثل الدراما السينمائية الأمريكية أو الدراما التلفزيونية الأمريكية المنتشرة في كل أنحاء العالم ، حيث ان غزارة إنتاج الدراما تحتاج إلى أموال طائلة . فما ورد في المصادر يتبين ان غزارة الإنتاج الدرامي تبرز في الولايات المتحدة الأمريكية بحكم قدرتها على الإنفاق في إنتاج تلك الأعمال ، من هنا لم تتمكن أوربا بكاملها أن تنتج ربع إنتاج الولايات المتحدة الأمر الذي دعي كل قنوات البث العالمية وليس العربية فقط الى ان تستعين بالإنتاج الأمريكي لتؤمن استمرار البث وتشبع رغبات المتلقي ، فالمتلقي دائم البحث عن الأفضل والأحداث والأمتع ، الواقع ان غزارة الإنتاج التي تتمتع بها أمريكا اكسبها التقنية العالية والخبرة في الإنتاج ليكون إنتاجها هو الأفضل والأمتع والأحدث ، وهذا الأمر قاد الجهات المنتجة في العالم إلى تقليد الإنتاج الأمريكي الممتع والحديث والمفضل فهو أنموذجا يستعان به في إنتاج أي عمل جديد تنتجه الجهات المنتجة خارج أمريكا ، أي إن الأساليب الإنتاجية والأفكار والموضوعات التي تطرحها الأعمال الأمريكية أصبحت تقليداً لكل الجهات المنتجة الأخرى لضمان نجاحها وتسويقها .

اكثر المواضيع التي تطرحها الأفلام الأكثر انتشاراً وتأثيراً تسير وفق أفكار الجهة المنتجة وهذه الأفكار تخطو وفق سياسات المفهوم العالمي الجديد " السلوك الجديد والثقافة الجديدة " الأمر الذي دعى المنتجين العرب إلى تقليد الأعمال الأمريكية الناجحة فاصبح الكثير من عملهم مشابهاً للإنتاج الأمريكي ومتأثراً وبالتالي تأثرت الأعمال العربية بالثقافة الأمريكية تأثراً أدى بها إلى ان تستعمل الخطاب الإعلامي المتعولم لينعكس على المرأة

العربية ومن ثم تتأثر بالسلوك الجديد وتتصرف تصرف النسوة اللاتي يظهرن من على الشاشة الفضائية(انظر ٢٤) .

إن غزارة الإنتاج الأمريكي احتوت اغلب الأعمال الموجهة للنساء ، فأمريكا تنتج من هذه الأعمال ما يساوي ثلثي إنتاج العالم وهو الإنتاج المتعولم من أول مشهد فيه إلى آخر مشهد ، ذلك لان أي عمل أمريكي وحسب ما ذكره (دافيد كوك) في كتابه تاريخ السينما الروائية (١٦ص٢٧٥) لا يمكن ان تتم الموافقة على إنتاجه ما لم تحصل الموافقات اللازمة لإنتاجه (قوانين الرقابة) وهي لوائح قديمة قدم السينما الأمريكية هدفها إرغام كل الإنتاجيات على الالتزام بالسيادة الأمريكية على العالم مثل (لائحة ماكارثي) المعروفة (والتي ترغم الكثير من المؤسسات الإنتاجية ان تنتج الأعمال وفق المعايير الخاصة) (٢٧ص ٤٠) أو (مكتب هيز) وهو مكتب سمي بهذا الاسم نسبة الى (ويل هيز) رئيس اتحاد منتجي وموزعي الأفلام في أمريكا في عام ١٩٢٢ ولمدة ٢٣عام ، اتضح في ما بعد أن ويل هيز عضوا في جماعات ماسونية ومنظمة الروتاري (انظر١٦).

لقد استطاع الفلم الأمريكي ان يغزو العديد من العقول البريئة للنساء لما يمتلك من قدرة على التأثير والإقناع ، والواقع ان الإقناع الذي حققه الفيلم الأمريكي يعود الى القدرة الكبيرة على الإنفاق المادي على تنفيذ الأعمال(إن الإنتاج الأمريكي قد تفوق كثيرا على الإنتاج الأوربي لدرجة ان أوربا بكاملها لا تستطيع أن تنتج ربع إنتاج أمريكا)(٢٠ص١٢١) فهناك أموال طائلة تنفق على الأعمال تصل الى مبالغ خيالية وهو الأمر الذي جعل من الفلم الأمريكي يتفوق على كل الإنتاجيات ، وبنفس الوقت اعتمد على مزج الكثير من المفاهيم بطرق تكاد تكون غير شرعية لما لها من مردودات سلبية على المجتمعات ، فطريقة مزج التوجهات الجديدة بالأشكال التي تظهر في الانتاج الأمريكي تعد وحسب رأي الباحث من الطرق المراوغة والخبيثة في نفس

الوقت ، وخصوصا في الأعمال الموجهة للمرأة ، فلوحظ ان العديد من الأعمال الدرامية تتضمن العديد من المعالم والتقاليد الأمريكية الغير مرغوبة والمضامين السامة على المرأة العربية في الأعمال التي تنتجها وبصورة تحمل التلاشي والانسيابية البالغة (Dissolution) والوقع ان هذه معالم ومضامين تشكل تحدي صريح لكل دول العالم الثالث ، فهناك المزيد من المعالم الخاصة في أمريكا مثل البيت الأبيض أو وكالة ناسا الفضائية او الشرطة الفيدرالية أو المخابرات الأمريكية (C I A) باتت معروفة جدا للمتلقي وباتت تشكل تهديد له ذلك للتمجيد الذي يظهر عليها في الأفلام وهناك المزيد من التصرفات او السلوكيات التي تظهر في العديد من البرامج هي ليس جديرة بالظهور الا إنها تحوي الكثير من التقاليد الغير مهذبة بل وغير كيسة وع ذلك تظهر وبشكل واسع كالبرامج التي تجمع الفتيات والشباب في صالات مغلقة والبرامج التي تستعرض اتفه بل وأدق التفاصيل الأنثوية المخجلة بما فيها الشاذة وتستعرضها كسلوك اعتيادي ومباح كما في برنامج (ستار أكاديمي)، ان الأسلوب المتبع في تحقيق ذلك اتخذ من المراوغة في شكل ومضمون الأعمال الدرامية نهج أساسي في تحقيق تلك المآرب ، وقد يتوقع البعض من ان ما يظهر من معالم وشخصيات أمريكية خارقة أو بروز الموضوعات الغريبة انه أمر غير مقصود أو انه مجرد لغرض المتعة والترفيه ، إلا ان الدراسات أثبتت ان ذلك مقصود بحكم التكرارات التي يعتمدها العمل الأمريكي في إبرازها ، ان ما يذهب له البعض في هذا التصور الخاطئ يعد تصور معذور ذلك لان الصنعة بارعة ومتميزة لدرجة ان الفرد لا يستطيع في ان يتجرأ ويقول ان مثل التصورات مقصودة، ان ما يذهب له البعض في ذلك التصور هو الأساس الذي اعتمدته الإمبريالية الجديدة في الهيمنة الفكرية على العقول ، فقد اعتمدت السياسة الأمريكية الإعلام بشكل لا يصدق وخططت له بصورة محكمة لتمهد إلى

مراحل مجهولة التنبؤ . ولعل العولمة التي تحققت الان دليل قاطع على ذلك. فالإعلام الأمريكي بداء توسعه مع دخول السينما حتى أصبحت تصرفات العديد من المتلقين على نهج الإعلام الأمريكي وتحديدا في النساء اللاتي يتابعن الأعمال الأمريكية أو المتامركة والدليل على ذلك نلاحظ ان الذين يسكنون في الأرياف ولا يملكون أجهزة تلفزيون لا يزالون محافظين على تقاليدهم الأصيلة ولا يزالون يشكلون تناقض واسع في السلوك مع الذين تعرّضوا للإنتاج المتعولم أو نشئوا في أجواء متعولمة (متامركة) ، فعلى سبيل المثال نلاحظ في المحافظات الجنوبية من مصر او العراق او حتى الأردن نلاحظ ان النساء حتى يومنا هذا متمسكات بالملبس والحشمة وعدم المخالطة بالرجال الغرباء وما الى ذلك من عفة واحتشام بالتصرف او السلوك ، بينما نلاحظ ان اغلب الفتيات في العاصمة يرتدين الملابس الغير محتشمة ويخالطن الرجال بشكل طبيعي ، كما يظهرن الفتيات من على شاشة التلفزيون كفتيات (مسلسل حصاد المواسم) الذي كثيرا ما يعرض مشاهد لفتاة عربية تستقبل رجل في مسكنها الخالي من العائلة وتختلي به في المنزل لتناقشه بموضوع عمل او أمور حياتية غير رومانسية وكان دور الشيطان انتهى ولم يعد له حاجة في المدينة المتعولمة ، الواقع ان هذا الشي إنما هو ترويج للامركة وهو الذي قاد الفتيات في المدينة الى السلوك الجديد بحكم هذه التلفزيون الذي يستعرض تلك السلوكيات التي كثيرا ما تحاكيها المتلقية في المدينة والتي هي في متابعة مستمرة للتلفزيون ، بينما الفتاة في القرى او الأرياف او بالمجتمعات المحافظة بعيدات عن التلفزيون وان تابعن التلفزيون ستكون تلك المتابعة محدودة جدا .

إذن الشكل الذي يظهر من على شاشة الفضائية او لتلفزيون المحلي وما له علاقة بالمضمون هو القاعدة التي ترتئيها الدراما الموجهة للمرأة في تحقيق السلوك او اللغة الجديدة التي ترومها العولمة (الافتراض الجديد) وعناصر الشكل سواء في الدراما السينمائية أو الدراما التلفزيونية كما

حددت في العديد من المصادر هي(٨ص٣)+(٣ص٦٧) : الديكور و الأزياء والمكياج و الإضاءة و الميزانسين ، أما عناصر المضمون فهي :

الإيقاع والفكرة والصراع والشخصيات ولحوار والحبكة .

ان كشف إلغاء الخصوصية العربية يتم من خلال ابتعاد الأعمال الدرامية الأجنبية الموجهة للمرأة عن كل ما تؤكده القيم السماوية والقيم العربية التي تؤكد على : الشرف والنخوة والأمانة والصدق والالتزام والحياء والدين الإسلامي والدم العربي والأعراف العربية.

هناك الكثير من الأعمال الأمريكية نلاحظ إنها تؤكد الابتعاد عن القيم السماوية وتسعى الى مسخ الهوية العربية وتهميش القيم العربية . وذلك من خلال التأكيد على نمط الحياة الغربية ومن خلال التأكيد على الاستهلاك والتأكيد على الحرية المطلقة للفتاة وخصوصيتها في الحياة اليومية دون المحاسبة أو الاستفسار عنها وكذلك من خلال التأكيد على تهميش دور المركزية في المجتمعات والتأكيد على إهمال القيم السماوية والتصرف دون قيود او نظام اجتماعي يقوّم التعايش الإنساني ، ولعل من الأمور التي نلاحظ توافرها في الأعمال السينمائية والتلفزيونية الأمريكية تمجيد الفردية والأنانية وهيمنة المؤسسات الخاصة. ومن بين الأعمال المشهورة التي أكدت هذه المظاهر بشكل صريح هي (Deep rising),(Pretty woman)،(die another day),(mask) وأفلام عديدة أخرى ، والواقع إن مثل هذه الأعمال كثيرا ما تؤثر على الأعمال العربية بحكم إن الأعمال العربية تقلد الأعمال الأجنبية ، ومما تجدر به الإشارة ان فيلم (Pretty woman) الذي مثلة ريجارد كير مع الممثلة جوليا روبرت قد قلد بشكل تفصيلي دقيق من قبل احدى الشركات المصرية وانتج تحت عنوان (الجينز) مثله فاروق الفيشاوي مع الممثلة جالا فهمي ، وقد تناولته دراسة سابقة (٣ص١١٧) وبينت المضامين والأشكال التي جاء بها حيث

كشفت الدراسة عن العديد من المظاهر والمضامين التي ناشد بها العمل العربي العولمة وذلك من خلال المحاكاة المطلقة والصريحة للعمل الأمريكي (Pretty woman) الذي يمجد الحياة الغير شرعية ويمجد الفساد الأخلاقي ويعتبره فضيلة ، بل ان العمل شجع وبشكل فاضح على الفساد الاخلاقي من خلال اعتبار ان مهنة الدعارة حرية شخصية وحق من حقوق المراة ولااحد يمكنه التعرض او التصدي لتلك الحرية الشخصية ، حيث ان الفيلم كان قد اكد على ان العمل في النوادي الليلية (المبغى) أو عمل العاهرة في الشوارع الليلية إنما هو عمل طبيعي بل انه عمل يجلب السعادة في بعض الأحيان ويكون مصدر للعيش الهنيء ، ومن الأمور التي لا يمكن ان تخفى هو ان العمل حين تحول الى إنتاج عربي جاء بافتراضات اخطر مما هو عليه في الفيلم الأمريكي على المرأة العربية كون ان الفيلم العربي مفهوم للمرأة العربية اكثر من الفيلم الأجنبي وكون الفيلم عرّب وبسط في مفهومه الفكري ليكون ايسر للمتلقية العربية عما هو عليه في الفيلم الأجنبي حيث ان المشاهدة العربية قد تترد في محاكاة الحياة الغربية في الفيلم الأجنبي كونها من اصل عربي بينما تجد نفسها قريبة من الحياة التي يستعرضها العمل العربي .

الفصل الثالث

إجراءات البحث

منهج البحث والعينة :

سيعتمد الباحث منهج التحليل الوصفي في تحليل عينته التي اختارها والتي هي المسلسل التلفزيوني (العطار والسبع بنات) الذي عرض من على شاشات العديد من القنوات الفضائية العربية والقنوات التلفزيونية المحلية . والباحث اختار هذه العينة كونها تمد بصلة بموضوع البحث بحكم ان هذه العينة تناولت شخصيات نسائية عربية ذات تأثير في المتلقي ، أيضا اختار الباحث هذا العمل كونه أنجز في فترة خصبة من التأثير بالمجتمعات كون ان هذه الفترة أطلق لها العنان بشكل واضح وصريح لكل توجهات العولمة وباتت بلورتها واضحة في المجتمعات التي ناشدتها ، والباحث سيعتمد في تحليله التحليل النوعي لوصف المواقف التي تحمل التأثيرات بالمتلقي والتي يعتمدها كوحدات أساسية لنواة جديدة في بلورة التغييرات التي تناشدها العولمة.

تحليل العينة

قد يكون هذا المسلسل من الأعمال التي نالت استقطاب كبير في العالم العربي بحكم الموضوع الاجتماعي الذي تناوله وبحكم الخصوصيات الدقيقة التي جاء بها المسلسل ، فهناك المزيد من التراث العربي ظهر في هذا العمل والذي انعكس إيجابا وسلبا في ذات الوقت على الموضوع الذي تناولناه في البحث ، فكما ذكرنا ان العولمة تحاول ان تمسخ او تتجاوز التراث الخاص بالشعوب بغية إيجاد عوامل مشتركة في العالم ككل وذلك كجزء من خطة إلغاء الحدود لتحقيق وخلق نماذج بشرية جديدة تتوائم مع التوجهات الجديدة التي تترجاها العولمة ، فالعمل كثيرا ما استعرض الملامح والمرافق التراثية

في الشارع المصري ولكن جاء هذا العمل بتوجه لا يهدف الى التدعيم المتوقع للتراث بل جاء بموضوع يحمل من التوجهات العولمية في التراث نفسه أي ان العمل استهدف التراث من ناحية تدعم التوجهات الجديدة التي تناشدها العولمة وهو ما يرى الباحث فيه من الخطورة القصوى على التراث نفسه ، فالعمل جاء بشخصيات نسائية تنتمي الى تراث أصيل في المجتمع العربي الا ان الاستعراض لتلك الشخصيات كان بشكل جديد وغير مألوف في الحارة او الحتة العربية ،فقد جاء العمل بشخصيات مهمة ذات تأثير بليغ في سير أحداث العمل واقحمها في توجهات العولمة التي مزقت كل تفاصيل و دقائق السلوكيات للمرأة في تلك المنطقة .

لقد استعرض العمل العديد من الشخصيات النسائية المؤثرة في بناء دراما العمل ككل . فهناك بنات العطار وهناك زوجات العطار وهناك معارف العطار وهناك أحفاد العطار وأخت العطار الخ ، وهذه الشخصيات ظهرت في الواقع بأسمى حالات العصرية والحداثة والتحرر بل والانفلات وهو ما جعلها تكون خطيرة على المتلقي ، فهذه الشخصيات انما هي تعبير عن واقع الشارع الشعبي وهي تعبير عن التقاليد السائدة والاعتيادية للمرأة او الفتاة في الحي الشعبي لكن ظهرت وللأسف بصورة غير واقعية بل افتراضية ، فهذه الشخصيات النسائية ظهرت بشكل عام تحت سيطرة تامة لتوجهات وأفكار وتقاليد العطار ، اي ان الشخصيات عبرت عن الشارع الشعبي الذي يعيش فيه العطار وعبرت أيضا عن ارفع وافضل الشخصيات الاجتماعية في ذلك الشارع الذي يعيش فيه العطار ، والعطار كما ظهر رجل متقي ومؤمن بالله اشد الايمان ويخاف الحرام ولا يقبل الظلم بل يساعد على عمل الخير ويساهم في الدعوة للعمل الصالح والنهي عن المنكر لدرجة كبيرة جدا وهذه الشخصية ظهرت انها تعتمد القران الكريم في عملها وتقيم الصلاة بأوقاتها دائما، ودائما ما تظهر هذه الشخصية في مواقف تؤكد وتفصح عن انها شخصية دينية مسلمة خصوصا وانها كانت دائما ما تظهر تلك الشخصية في

ميول بالغ نحو القيم الدينية فالعطار كان يحلم بالحج لزيارة بيت الله المقدس حتى ذهب إلى بيت الله المقدس ليحج فهو في كامل الإيمان بالله كما يظهر بالعمل ، الا ان الأمر الخطير هنا هو ان العطار وحسب ما يعتقده الباحث من اخطر واصعب الموجهين للسلوكيات النسائية ، فهناك تفاصيل دقيقة اخترقت العمل وتركت انطباع لدى المتلقي بانها امور اعتيادية أي انها سوفت العديد من الموروثات السلوكية عند الفتاة العربية ، حتى ظهرت في العمل كانها مسلمات او بديهيات في الشارع العربي رغم انها لم تكن موجودة قبل ذلك ، لذا خلقت تلك التفاصيل التي جاء بها العمل الى محاكاة من قبل المتلقيات والمتلقي للعمل لتكون المتلقية في تلهف لتقليد تلك التفاصيل الجديدة في النتيجة والتي كثيرا ما ظهرت في العمل بشكل واضح وصريح .

لقد كانت التفاصيل التي استعرضها العمل عبر الشخصيات النسائية من اشد التوجهات الي تبتغيها العولمة ، فالشخصيات النسائية التي ظهرت كانت كثيرا ما تؤكد على الملبس الجديد والذي هو لم يكن مستخدم من قبل ، وهذا الأمر قد يكون أمر غير مثير خصوصا وان من الاعمال العربية القديمة ما عرضت من الأزياء الخليعة والفاضحة غير المحتشمة ، الا ان في العمل (العطار والسبع بنات) الامر يختلف فظهور الشخصيات كما عرضت امر مختلف للغاية كون ان الشخصيات النسائية وعلى سبيل المثال بنات العطار شخصيات محتشمة ومندرجة من عائلة متدينة وترفض الحرام ، فارتداء الازياء التي تستعرض المفاتن من ملابس قصيرة وبنطلون ضيق او قميص ضيق او ثوب خليع وفي حفلات عامة و أماكن غير محظورة يعد أمر غير اعتيادي في المجتمعات العربية وتحديدا في العوائل المحافظة . فبنات العطار من عائلة مسلمة ومتدينة بحكم شخصية الأب الذي يظهر دائما بمظاهر الدين ، ولكن نرى الأب العطار غير مبال لذلك الملبس المثير بل انه في بعض الأحيان يكون في موقع التشجيع لتلك الأزياء بحكم انه لم يحاسبهن او

انه لم يتطرق لا من بعيد ولا من قريب لذلك الأمر ولو بمشهد واحد من العمل . فالعطار كان بعيد كل البعد عن محاسبة بناته على ذلك الملبس الذي لا يليق ببنات رجل متقي يخاف الله .

ان هذا الأمر يعد في الواقع تسويف للقيم والتراث العربي بل يعد تحول جذري لتحقيق النماذج البشرية التي تسعى لها العولمة . فلو قارنا على سبيل المثال الأزياء التي ظهرت في المسلسل بأي أزياء أخرى من أعمال أجنبية كان تكون المسلسلات او الأفلام الأمريكية فسنجد ان الأزياء متشابهة ومتقاربة ، ان من الأزياء التي ظهرت في المسلسل ما شوهدت في الأفلام الإباحية ، فاللبس القصير والبنطلون الضيق والملبس الضيق على الأجساد (البدي- body) والملابس الخفيفة او التي تنوه عن فضح المناطق المثيرة لجسم المرأة ما هي الأزياء تظهر في اغلب أفلام الممارسات الجنسية (sex films) وهذه الأزياء في الواقع لو تمعنا في جذورها او ظهورها اول مرة على السينما لوجدنا انها كانت محرمة وممنوعة في فترة العشرينات او الثلاثينات من القرن الفائت باعتبارها من المسائل التي لا تطابق الشريعة او الدين المسيحي فهي تنافي الأخلاقيات السامية وهو ما أكده دافيد كوك في كتابه تاريخ السينما الروائية عندما تطرق إلى موضوع اللوائح الخاصة بأفلام السينما في أمريكا في تلك الفترة والتي منعت ظهور مثل تلك الملابس المثيرة .

ان ظهور تلك الأزياء في عمل مثل العطار والسبع بنات انما هو اختراق صريح لكل ما تبقى من قيم وخصوصيات التراث العربي الأصيل ، وذلك من خلال الترويج عن التقاليد والسلوكيات الجديدة للشيخ الجليل المؤمن بالله (شخصية العطار) فها هو الشخص الذي ذهب للحج يفرح ويشارك الفرح والرقص مع بناته اللاتي يرقصن في احتفال يضم المزيد من الرجال والغرباء وها هو الرجل المؤمن يشارك بناته وهن يرتدين الملابس الفاضحة

ناهيك عن ان بنات العطار يرتدن من الملابس الغير موائمة لتقاليد وتراث للعوئل العربية المحافظة والتي تتمثل بالحارة الشعبية في البلاد العربية .

أيضا جاء هذا العمل بتوجه صريح في حرية المرأة التي تخرج من المنزل دون استئذان او محاسبة وهي تحمل جهاز الموبايل الذي يتيح لها المكالمة السرية مع من ترغب وبشكل طبيعي لتتصل بكل من تراه او تعتقده، فهناك في العمل صراحة في انفلات مثل هذه الأمور او الأوضاع في بنات العطار اللاتي يخرجن من المنزل دون أي محاسبة او استفسار بل ان الأب يؤكد ويشير الى انه مطمئن على وضعهن مؤكدا بذلك على انتشار وتعزيز هذه الحالات التي تعد في العديد من العوائل العربية المحافظة من الأمور الغير صحيحة .

لقد جاء العمل بتسويف خارق لجملة من القيم العربية الأصيلة التي بدأت تتفتت بحكم هذه التوجهات التي تستعرضها مثل هكذا أعمال في التلفزيون فهناك الكثير من المشاهد التي تطرح مواقف تؤكد حرية الفتاة دون أي قيود او تحفظ من قبل العائلة التي يفترض ان تحد او تمنع او تستفسر على الأقل، وهناك الكثير من المشاهد التلفزيونية التي تحرض الفتاة على الحرية او على التصرفات الفردية في تحقيق الأحلام دون الرجوع الى رب الأسرة او ألام في المناقشة على الأقل علما ان العمل يتناول عائلة ذات طابع متدين فكيف هو الحال مع عائلة أخرى فيها اب غير متدين ، ان هذه المشاهد انما هي مواقف أعطت للمرأة إمكانية في تجاوز وخرق التقاليد العربية وذلك من خلال التأكيد على مساواة المرأة بالرجل بالتصرف والخروج عما هو سائد او مألوف سابقا في المجتمعات ، وذلك من خلال نقاشات المرأة التي بدأت هي تحاسب بعد ان كان رب الاسرة يحاسبها في حال تصرفها تصرف غير لائق ، او من خلال الاعتقاد الذي افترضه العمل في ان السلوكيات او التصرفات التي بدرت من بنات العطار سلوك اعتيادي ومعتمد في الكثير من العوائل العربية السائدة لتكون تلك السلوكيات او التصرفات فيما بعد معممة

على كل العوائل الشرقية العربية وفي حال الامتناع عنها فسيكون ذلك التصرف غير صحيح وغير منطقي لان السائد هو الصحيح في كل المجتمعات ولكي تكون تلك التصرفات او السلوكيات سائدة كان لابد ان تظهر من عوائل تمثل الطبقة الصحيحة في المجتمع وبما ان العمل استعرض طبقة صحيحة وهي عائلة العطار التي يقودها الرجل المؤمن ، إذن التصرفات او السلوكيات التي تبرز من بناته انما هي الصحيحة ،وهنا يؤكد الباحث على ان التمهيد لهذا العمل كان قد اجري له من مدة ليس بالقصيرة فهناك من الأعمال ما مهدت لهذا العمل لكي يكون العطار والسبع بنات ذو تأثير جذري ، فهذا العمل جاء بعد أعمال جيدة او متميزة للفنان نور الشريف والذي استقطب العديد من المتلقين بأعماله التلفزيونية الناجحة والتي غالبا ما تعرض في شهر محدد من السنة الهجرية ألا وهو شهر رمضان الذي عادة ما يكون المتلقين في فترة خصبة للمشاهدة وخصوصا أعمال نور الشريف الذي أنجز العديد من الأعمال المتميزة والمؤثرة كالرجل الآخر والحاج متولي ولن أعيش في جلباب ابي وغيرها من الأعمال التي سرت المتلقين ، لذا كان تأثير هذا العمل أشبه بتأثير السلاسل التلفزيونية التي يمكن ان تتجاوز المئات من الحلقات او تأثير المسلسلات المدبلجة التي عادة ما تكون بأكثر من مائة حلقة تلفزيونية ويكون المتلقي متأثر بها طوال عدد الحلقات أي ان المتلقي يكون متعاطف مع شخصيات العمل لفترة طويلة جدا وهو ما حدث مع المتلقين لاعمال نور الشريف الذي عودهم على التعاطف مع الأدوار التي يقوم بها والتي عادة ما تكون قريبة جدا من المتلقي وبالتالي تكون ذو تأثير بليغ في المتلقي .

إذن هناك تمويه تضمنه العمل بقصد او بغير قصد في بلورة السلوكيات الجديدة التي طالما ناشدتها العولمة لتحقيق النماذج التي تترجاه من البشر .

النتائج والتوصيات

من خلال الدراسة التي قام بها الباحث والتحليل للعمل التلفزيوني العطار والسبع بنات (عينة البحث) توصل الى ان العمل قد تضمن العديد من الافتراضات الجديدة التي تناشد بها العولمة من خلال الحث على التغيير بالصورة الطوعيه التي تبدو من خلال التلفزيون بأنها طوعيه وبريئة الا ان الباحث يؤكد ان هذه الصورة إنما هي ليس بالشكل الذي قد يتصورد الفرد بأنها بريئة بل انها جاءت بتعمد لتغيير السلوك ، والدليل على ذلك هو التكرار لتلك المواقف التي عبرت عن التغيير والتي هي بالأساس امتداد لمواقف سابقة تزامنت في فترة نضوج وبلورة العولمة إبان هيمنة وسائل الإعلام على ميولات المتلقين ، فالعمل تضمن العديد من المشاهد التي عبرت عن مواقف أساسية في طرح التوجهات التي يناشدها الافتراض الجديد كون ان معانيها جاءت بصور مؤثرة للغاية وذات أبعاد عميقة في التأثير ، وهذا الافتراض يمكن ان يتمثل في العديد من السلوكيات والتصرفات الغير واردة في العوائل الشرقية المحافظة ، لذا يوصي الباحث بتجنب عرض مثل هكذا موضوعات بغية الحفاظ على ما هو موروث ، ويرى الباحث إنتاج العمل الدرامي يجب ان يتقيد بالقيم والمبادئ المتعارف عليها وان لا يزج مثل تلك التفاصيل التي حددناها بالمواضيع او الأحداث الدرامية ، ويؤكد الباحث ضرورة إنتاج أعمال درامية عربية ذات مواصفات وموضوعات تهتم بالتراث العربي بشكل جدي دون اي تلوين او تهجين يضعف من قيمة التراث وذلك للمحافظة على التراث الذي هو غاية بالأهمية ،كما يؤكد الباحث على ضرورة التقيد في فحص الأعمال قبل عرضها من خلال فحص المسائل التي تمس الشخصية العربية او المرأة العربية التي تتأثر كثيرا بالتلفزيون.

المصادر

١. رياض عزيز (العالم الثالث والعولمة) مجلة العلوم السياسية . جامعة بغداد ، عدد١٩، تموز ١٩٩٩ م.

٢. هانس بيتر مارتين ، هارلد شومان (فخ العولمة) ترجمة عدنان عباس علي ، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،١٩٩٨م.

٣. عبد الباسط سلمان المالك (مظاهر العولمة في الشكل والمحتوى في البث الفضائي العربي)رسالة دكتوراه(غير منشورة)كلية الفنون الجميلة /جامعة بغداد،٢٠٠٢م .

٤. صالح أبو إصبع . عز الدين المناصرة . محمد عبيد الله (العولمة والهوية) منشورات جامعة فيلادلفيا،الأردن،١٩٩٩م.

٥. علي احمد مدكور،التعليم في عصر العولمة والكوكبة . كلية التربية والعلوم الإسلامية جامعة السلطان قابوس،سلطنة عمان،١٩٩٧..

٦. علي حنون الساعدي (الشكل واغناء المضمون) رسالة ماجستير (غير منشورة)كلية الفنون الجميلة/جامعة بغداد ١٩٨٩م.

٧. محمد شاكر (دور التخطيط التلفزيوني في مواكبة البث الفضائي المباشر) رسالة ماجستير(غير منشورة)كلية الفنون الجميلة/جامعة بغداد١٩٩٩ م.

٨. سعد عبد الجبار (التطابق الحركي والسكوني بين الشكل والمضمون) رسالة دكتوراه(غير منشورة) كلية الفنون الجميلة / جامعة بغداد ١٩٩٩م .

٩. مركز دراسات الوحدة العربية (مجلة المستقبل العربي) عدد ٢٦٠ تشرين الأول عام ٢٠٠٠ .

١٠. مارسيل مارتن (اللغة السينمائية) ترجمة سعد مكاوي القاهرة . الدار المصرية للتأليف والترجمة . ١٩٦٤م .

١١. بيتر سبرزستي (جماليات التصوير والإضاءة في السينما والتلفزيون) ترجمة فيصل الياسري بغداد .دار الشؤون الثقافية العامة.١٩٩٢م.

١٢. بدر عناد ، محي الدين حسين (المتغيرات الاقتصادية الدولية وانعكاساتها على اقتصاديات الشرق الأوسط) طرابلس.أكاديمية الدراسات العليا والبحوث الاقتصادية . ١٩٩٨م.

١٣. أديب خضور (سوسيولوجيا الترفيه في التلفزيون) دمشق . ١٩٩٧م.

١٤. سعد لبيب (دراسات في العمل التلفزيوني العربي) بغداد . مركز التوثيق الإعلامي لدول الخليج العربي.١٩٨٤.

١٥. حسين كامل بهاء الدين (الوطنية في عالم بلا هوية) القاهرة . الهيئة المصرية العامة للكتاب ،٢٠٠٠ .

١٦. مجموعة من الكتاب ندوة (العرب والعولمة)بيروت ،مركز دراسات الوحدة العربية ،١٩٩٨م.

١٧. مجلة الجيل ، عدد ٦ السنة ١٩٩٩ .

١٨. دافيد كوك ، (تاريخ السينما الروائية) القاهرة ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩م .

١٩. دراسات في القنوات الفضائية العربية في خدمة الثقافية العربية الإسلامية . تونس ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . ١٩٩٨ .

٢٠. عبد الباسط سلمان المالك (التشويق ورؤيا الإخراج في الدراما السينمائية والتلفزيونية) القاهرة . الدار الثقافية للنشر ٢٠٠١م .

٢١. نسمة البطريق (التلفزيون والمجتمع) القاهرة . الهيأة المصرية العامة للكتاب . ١٩٩٩م .

٢٢. السيد ياسين (العولمة والطريق الثالث) القاهرة . الهيأة المصرية العامة للكتاب . ١٩٩٩م .

٢٣. جون هوارد لوسون (السينما العملية الإبداعية) ترجمة علي ضياء الدين ، بغداد ، الدار الشؤون الثقافية ، ٢٠٠٢ م .

٢٤. ندوة الاختراق الإعلامي . القاهرة . معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٩٨ .

٢٥. لقاء مع نايف بلوز.مجلة أدب ونقد . العدد ١٧٦ . ابريل ٢٠٠٠ ،القاهرة .

٢٦. علي احمد مدكور.التعليم في عصر العولمة والكوكبة ، كلية التربية والعلوم الإسلامية جامعة السلطان قابوس.سلطنة عمان.١٩٩٧.

٢٧. قاسم عبدالامير عجام . الضوء الكاذب في السينما الأمريكية.بغداد.دار الشؤون الثقافية ٢٠٠١ .